

تفسير البحر المحيط

@ 138 @ للإنكار ، وكأنه ثم محذوف تقديره : فامتنعوا من الأكل ، فأنكر عليهم ترك الأكل فقال : { أَلا تَأْكُلُونَ } . وفي الحديث : (إنهم قالوا إنا لا نأكل إلا ما أدينا ثمنه ، فقال لهم : وإنني لا أبيعكم لكم إلا بثمن ، قالوا : وما هو ؟ قال : أن تسموا الله عز وجل عند الابتداء وتحمدوه عند الفراغ من الأكل ، فقال بعضهم لبعض : بحق اتخذه الله خليلاً) . . { فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } : أي فلما استمروا على الامتناع من الأكل ، أوجس منهم خيفة ، وذلك أن أكل الضيف أمانة ودليل على انبساط نفسه ، وللطعام حرمة وذمام ، والامتناع منه وحشة . فخشي إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن امتناعهم من أكل طعامهم إنما هو لشر يريدونه ، فقالوا لا تخف ، وعرفوه أنهم ملائكة . وعن ابن عباس : وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب . وعلمهم بما أضمر في نفسه من الخوف ، إنما يكون باطلاع الله ملائكته على ما في نفسه ، أو بظهور أمارته في الوجه ، فاستدلوا بذلك على الباطن . وعن يحيى بن شداد : مسح جبريل عليه السلام بجناحه العجل ، فقام يدرج حتى لحق بأمه . { بَرَّغُمَا غُلَامًا عَالِمًا } : أي سيكون عليماً ، وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء . وعن الحسن : عليم نبي ؛ والجمهور : على أن المبرر به هو إسحاق بن سارة . وقال مجاهد : هو إسماعيل . وقيل : علم أنهم ملائكة من حيث بشروه بغيث ، ووقعت البشارة بعد التأنيس والجلوس ، وكانت البشارة بذكر ، لأنه أسر للنفس وأبهج ، ووصفه بعليم لأنها الصفة التي يختص بها الإنسان الكامل إلا بالصورة الجميلة والقوة . . { فَأَوْقَبَلَتْهُمُ امْرَأَتُهُمْ فِي صَرٍّ } : أي إلى بيتها ، وكانت في زاوية تنظر إليهم وتسمع كلامهم . وقيل : { فَأَوْقَبَلَتْهُمُ } ، أي شرعت في الصياح . قيل : وجدت حرارة الدم ، فلطمت وجهها من الحياء . والصرة ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وسفيان : الصيحة . قال الشاعر : % (فألحقنا بالهاديات ودونه % . حواجرها في صرة لم تزيل . %) .

وقال قتادة وعكرمة : الرنة . قيل : قالت أووه بصياح وتعجب . وقال ابن بحر : الجماعة ، أي من النسوة تبادروا نظراً إلى الملائكة . وقال الجوهري : الصرة : الصيحة والجماعة والشدة . { فَهَكَكَّتْ وَجْهَهَا } : أي لطمته ، قاله ابن عباس ، وكذلك كما يفعله من يرد عليه أمر يستهوه له ويتعجب منه ، وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء . وقال السدي

وسفيان : ضربت بكفها جبهتها ، وهذا مستعمل في الناس حتى الآن . { وَقَالَاتِ عَجُوزٌ }
عَقِيمٌ { : أي إنا قد اجتمع فيها أنها عجوز ، وذلك مانع من الولادة ، وأنها عقيم ، وهي
التي لم تلد قط ، فكيف ألد ؟ تعجبت من ذلك . { وَقَالُوا كَذَلِكَ } : أي مثل القول
الذي أخبرناك به ، { قَالَ رَبُّكَ } : وهو القادر على إيجاد ما يستبعد . وروي أن
جبريل عليه السلام قال لها : انظري إلى سقف بيتك ، فنظرت ، فإذا جذوعه مورقة مثمرة . {
إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ } : أي ذوو الحكمة . { الْعَالَمِينَ } بالمصالح . .
ولما علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنهم ملائكة ، وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله تعالى
رسلاً ، قال { فَمَا خَطْبُكُمْ } إلى : { قَوْمٍ مَّجْرُمِينَ } : أي ذوي جرائم ، وهي
كبار المعاصي من كفر وغيره . { لَنُرْسِلَنَّ عَلَيْهِمُ } : أي لنهلكهم بها ،
حِجَارَةً مِّن طِينٍ { : وهو السجيل ، طين يطبخ كما يطبخ الآجر حتى يصير في صلابه
كالحجارة . { مَّسْوًى مَّعًا } : معلمة ، على كل واحد منها اسم صاحبه . وقيل : معلمة
أنها من حجارة العذاب . وقيل : معلمة أنها ليست من حجارة الدنيا ، { لِّلْمُتَسَوِّفِينَ }
: وهم المجاوزون الحد في الكفر . { فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا } : في القرية التي
حل العذاب بأهلها . { غَيْرَ بَاقِيَةٍ } : هو بيت لوط عليه السلام ، وهو لوط وابنتاه فقط
، وقيل : ثلاثة عشر نفساً . وقال الرماني : الآية تدل على أن الإيمان هو الإسلام ، وكذا قال
الزمخشري ، وهما معتزليان . .
{ وَتَرَكْنَاهَا فِيهَا } : أي في القرية ، { آيَةً } : علامة . قال ابن جريج : حجارة
كبيرة جدّاً منصودة . وقيل : ماء أسود منتن . ويجوز أن يكون فيها عائداً على الإهلاك
التي أهلكوها ، فإنها من أعاجيب الإهلاك ،